ذكروفاة الاشرف صاحب حمص

وفي هذه السنة بعد عود الملك الأشرف صاحب حمص موسى ابن الملك المنصور ابراهيم ابن الملك المجاهد شيركوه بن ناصر الدين محمد ابن شيركوه بن شادي من خدمة الملك الظاهر بيبرس إلى حمص،مرض واشتد به المرض، وتوفي إلى رحمة الله تعالى و أرسل الملك الظاهر وتسلم حمص في ذي القعدة من هذه السنة، أعني سنة احدى وستين وستمائة، وهذا الملك الأشرف موسى هو آخر من ملك حمص من بيت شيركوه، وقد تقدمت أخبار الأشرف موسى المذكور، وأخذ الملك الناصر يوسف صاحب حلب منه حمص بسبب تسليمه شميميس للملك الصالح أيوب صاحب مصر، وأنه تعوض عن حمص تل باشر، ثم أعاد هولاكو عليه حمص، فبقيت في يده حتى توفي في أواخر هذه السنة، وانتقلت حمص إلى مملكة الملك الظاهر بيبرس في ذي القعدة حسبما ذكر، وكان جملة من ملك حمص منهم خمسة ملوك أولهم شيركوه بن شادي، ملكه إياها نور الدين الشهيد، ثم ملكها من بعده ابنه ناصر الدين محمد بن شيركوه، ثم ملكها بعده ابنه شيركوه ابن محمد، وتلقب بالملك المجاهد، ثم ملكها بعده ابنه ابراهيم بن شيركوه، وتلقب بالملك المنصور، ثم ملكها بعده ابنه موسى بن ابراهيم وتلقب بالملك الأشرف حتى توفي في هذه السنة، وانقرض بموته ملك المذكورين.

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وستمائة

في هذه السنة قبض الأشكري صاحب قسطنطينية على عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن كيقباذ صاحب بلد الروم،وسببه أن عز الدين كيكاوس المذكور كان قد وقع بينه وبين أخيه، فاستظهر أخوه عليه، فهرب كيكاوس وبقي أخوه ركن الدين قليج أرسلان في سلطنة بلاد

الروم، ثم سار كيكاوس المذكور إلى قسطنطينية، فأحسن إليه الأشكري صاحب قسطنطينية وإلى من معه من الأمراء، واستمروا كذلك مدة، فعزمت الأمراء والجماعة الذين كانوا مع عز الدين المذكور على اغتيال الأشكري وقتله، والتغلب على قسطنطينية، وبلغ ذلك الأشكري، فقبض عليهم واعتقل عز الدين كيكاوس بن كيخسرو في بعض القلاع، وكحل الامراء والجماعة الذين كانوا عزموا على ذلك، فأعمى عيونهم وقد تقدم ذكر كيكاوس المذكور، وأخيه قليج أرسلان في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

وفيها في ثامن رمضان توفي الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد ابن محمد بن عبد المحسن الأنصاري المعروف بشيخ الشيوخ بحماة، وكان مولده في جمادى الأولى سنة ست وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى، وكان دينا فاضلاً متقدماً عند الملوك، وله النثر البديع، والنظم الفائق، وكان غزير العقل عارفاً بتدبير المملكة، فمن حسن تدبيره أن الملك الأفضل علي ابن الملك المظفر محمود لما ماتت والدته غازية خاتون بنت الملك الكامل رحمهما الله تعالى حصل عند الملك الأفضل المذكور استشعار من أخيه الملك المنصور محمد صاحب حماة، فعزم أن ينتزح من حماة ويفارق أخاه الملك المنصور، وأذن له أخوه الملك المنصور في ذلك، فاجتمع الشيخ شرف الدين المذكور بالملك الأفضل وعرفه مايعتمده من السلوك مع أخيه الملك المنصور، ثم اجتمع بالملك المنصور وقبح عنده مفارقة أخيه، ومابرح بينهما حتى أزال ماكان في خواطرهما، وصار للملك الافضل في خاطر أخيه الملك المنصور من المحبة والمكانة مايفوق الوصف، وكان ذلك من بركة شرف الدين المذكور وللشيخ شرف الدين المذكور أشعار فائقة قد تقدم ذكر بعضها، وكان مرة مع الملك الناصر يوسف صاحب الشام بعمان فعمل الشيخ شرف الدين

أفدي حبيبا منذ واجهته
عن وجه بدر التم أغناني

في وجهـــــه خـــــالان لـــــولاهما
مـــــابـــــت مفتـــــونـــــا بعمان

وأنشدهما للملك الناصر فأعجباه إلى الغاية، وجعل يردد انشادهما، وقال لكاتبه كمال الدين ابن العجمي:هكذا تكون الفضيلة، فقال ابن العجمي: إن التورية لاتخدم هنا لان عمان مجرورة في النظم فلا تخدمه في التورية،فقال الملك الناصر للشيخ شرف الدين ماقاله، فقال شرف الدين: إن هذا جائز وهو أن يكون المثنى في حالة الجر على صورة الرفع، واستشهد شرف الدين بقول الشاعر

فـــأطـــرق اطـــراق الشجـــاع ولـــو رأى
مســـاغـــا لنـــابـــاه الشجـــاع لصمما

واستشهد بغير ذلك فتحقق الملك الناصر فضيلته.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وستمائة

ذكر فتوح قيسارية

في هذه السنة سار الملك الظاهر بيبرس من الديار المصرية بعساكره المتوافرة إلى جهاد الفرنج بالساحل، ونازل قيسارية الشام في تاسع جمادى الأولى، وضايقها وفتحها بعد ستة أيام من نزوله، وذلك في منتصف الشهر المذكور، وأمر بها فهدمت، ثم سار إلى أرسوف، وفتحها في جمادى الآخرة من هذه السنة.

ذكر موت هولاكو

في هذه السنة في تاسع ربيع الآخر مات هولاكو ملك التتر لعنه الله، وهو هولاكو بن طلو بن بن جنكيز خان، وكانت وفاته بالقرب من كورة مراغه، وكانت مدة ملكه البلاد التي سنصفها نحو عشرسنين، وخلف خمسة عشر ولدا ذكرا، ولما مات جلس في الملك بعده ولده ابغا بن هولاكو، واستقرت له البلاد التي كانت بيد والده حال وفاته، وهي: أقليم خراسان وكرسيه نيسابور، واقليم عراق العجم وهو الذي يعرف ببلاد الجبل وكرسيه أصفهان، وأقليم عراق العرب وكرسيه بغداد، وأقليم أذربيجان وكرسيه تبريز، وأقليم خوزستان وكرسيه تستر التي تسميها العامة تشتر، وأقليم فارس وكرسيه شيراز، وأقليم ديار بكر وكرسيه الموصل،وأقليم الروم وكرسيه قونيه، وغير ذلك من البلاد التي ليست في الشهرة مثل هذه الأقاليم العظيمة.

ذكر غير ذلك من الحوادث

وفي هذه السنة أو التي بعدها أمسك الملك الظاهر بيبرس زامل بن علي، أمير العرب بمكاتبة عيسى بن مهنا في حقه.

وفيها في رمضان استولى النائب بالرحبة على قرقيسيا، وهي حصن الزباء التي تقدم خبرها مع جذيمة الأبرش في أوائل الكتاب، وفيه خلاف.

وفيها قبض الملك الظاهر بيبرس على سنقر الرومي. وفيها توفي قاضي القضاة بمصر بدر الدين يوسف بن حسن بن علي السنجاري.

ذكر فتوح صفد وغيرها

في هـذه السنة خـرج الملـك الظاهـر بعسـاكـره المتوافـرة مـن الديـار المصرية، وسـار إلى الشام، وجهـز عسكرا إلى سـاحل طـرابلس، ففتحـوا القليعات وحلبـة، وعرقـة، ونزل الملك الظـاهر على صفـد ثامـن شعبان، وضـايقها بـالـزحـف وآلات الحصار، وقـدم إليـه وهـو على صفد الملـك المنصـور صاحـب حماة، ولاصـق الجنـد القلعة، وكثـر القتـل والجراح في المسلمين، وفتحها في تـاسع عشر شعبـان المذكوربالأمـان،ثم قتـل أهلها عن آخرهم.

ذكر دخول العساكر إلى بلاد الأرمن

وفي هـذه السنة بعـد فـراغ الملـك الظاهـر مـن فتـوح صفد سـار إلى دمشق، فلما دخلها واستقـر فيها جرد عسكراً ضخماً، وقـدم عليهم الملك المنصور صاحـب حماة، وأمرهم بالمسير إلى بلاد الأرمن، فسـارت العساكر صحبة الملك المنصور المذكور، ووصلـوا إلى بلاد سيس في ذي القعدة من هذه السنة، وكـان صاحب سيس إذ ذاك هيثوم بن قسطنطين بـن باسيل قد حصن الـدربندات بالرجالـة والمناجيق،وجعل عسكره مـع ولديه على الدربندات لقتال العسكر الاسلامي، ومنعـه فداستهم العساكر الاسلامية وأفنوهم قتـلا وأسراً، وقتل ابن صاحـب سيس الواحد، وأسر ابنـه الآخر، وهـو ليفـون بن هيثـوم المذكـور، وانتشرت العسـاكـر الاسلاميـة في بـلاد سيس، وفتحـوا قلعة العـامودين وقتلـوا أهلها، ثم عـادت العساكـر وقد امتلأت أيديهم مـن الغنائم، ولما وصل خبر هذا الفتـح العظيم إلى الملك الظـاهر بيبرس رحـل من دمشـق ووصل إلى حماة، ثـم إلى فاميـة فالتقـى عسـاكـره وقد عـادت منصـورة وأمـر بتسليـم الاسرى وفيهم ليفـون ابـن

صاحب سيس، وكان المذكور لما أسر سلمه الملك المنصور إلى أخيه الملك الأفضل فاحترز عليه وحفظه حتى أحضره بين يدي السلطان، ثم عاد إلى الديار المصرية على طريق الكرك فتقنطر بالملك الظاهر المذكور فرسه عند بركة زيزاء وانكسرت فخذه، وحمل في محفة إلى قلعة الجبل.

ذكر قتل أهل قارا ونهبهم

وفي هذه السنة عند توجه الملك الظاهر من دمشق لملتقى عساكره العائدة من غزوة بلاد سيس لما نزل على قارة بين دمشق وحمص أمر بنهب أهلها وقتل كبارهم فنهبوا وقتل جماعة منهم لأنهم كانوا نصارى، وكانوا يسرقون المسلمين ويبيعونهم بالخفية من الفرنج، وأخذت صبيانهم مماليك فتربوا بين الترك في الديار المصرية، فصار منهم أجناد وأمراء.

ثم دخلت سنة خمس وستين وستمائة

فيها وصل الملك المنصور محمد صاحب حماة إلى خدمة الملك الظاهر بيبرس بالديار المصرية، ثم طلب المنصور من الملك الظاهر مرسوما بالتوجه إلى اسكندرية ليراها ويتفرج فيها فرسم له بذلك وأمر أهل اسكندرية باكرامه واحترامه وفرش الشقق بين يدي فرسه، فتوجه الملك المنصور إلى الاسكندرية، وعاد للديار المصرية مكرما محترماً، ثم خلع عليه الملك الظاهر، وأحسن إليه على جاري عادته، ورسم له بالدستور فعاد إلى بلده.

وفيها توجه الملك الظاهر بيبرس إلى الشام فنظر في مصالح صفد ووصل إلى دمشق وأقام بها خمسة أيام، وقوي الارجاف بوصول التتر إلى

الشام، ثـم وردت الأخبار بعـودتهم على عقبهم، فعـاد الملك الظـاهر إلى ديار مصر.

ذكر موت ملك التتر بالبلاد الشمالية

وفي هذه السنـة مات بـركة بـن باطـوخان بـن دوشي خان بـن جنكيز خان، أعظـم ملوك التتر، وكرسي مملكته مـدينة صراي، وكان قـد مال إلى دين الاسلام،ولما مـات جلس في الملك بعده ابن عمه منكـوتمر بن طغان ابن باطو بن دوشي خان بن جنكز خان.

ثم دخلت سنة ست وستين وستمائة

ذكر مسير الملك الظاهر إلى الشام وفتح أنطاكية وغيرها

في هـذه السنة في مستهـل جمادى الآخرة، تـوجـه الملك الظاهر بيبرس بعسـاكره المتـوافـرة إلى الشـام وفتح يـافـا في العشر الأوسـط من الشهـر المذكـور، وأخذهـا مـن الفرنـج، ثـم سار إلى أنطـاكيـة، ونازلها مستهـل رمضان، وزحفت العسـاكر الاسلامية على أنطـاكية فملكوها بـالسيف في يـوم السبـت رابع شهـر رمضـان مـن هـذه السنـة، وقتلوا أهلهـا وسبـوا ذراريهم وغنموا منهـم أموالا جليلة، وكـانت أنطـاكية للبرنس بيمنـد بن بيمند، وله معهـا طرابلس، وكان مقيما بطرابلس لما فتحـت أنطـاكية وفيها في ثالـث عشر رمضان استـولى الملك الظاهـر على بغراس، وسبـب ذلك أنه لما فتح أنطاكيـة هرب أهل بغراس منها وتركوا الحصن خـاليا، فأرسل من استـولى عليها في التاريـخ المذكور وشحنها بـالرجال والعـدد، وصار مـن الحصون الاسـلاميـة، وقد تقـدم ذكـر فتح صـلاح الـدين للحصـن

المذكور وتخريبه ثم عمارة الفرنج له بعد صلاح الدين، ثم حصار عسكر حلب له ورحليهم عنه بعد أن أشرفوا على أخذه.

وفيها في شوال وقع الصلح بين الملك الظاهر، وبين هيثوم صاحب سيس على أنه إذا أحضر هولاكو كما تقدم ذكره، وسلم مع ذلك بهسنا ودربساك، ومرزبان، ورعبان، وشيح الحديد، يطلق له ابنه ليفون، فدخل صاحب سيس على ابغا ملك التتر وطلب منه سنقر الأشقر، فأعطاه إياه، ووصل سنقر الأشقر إلى خدمة الملك الظاهر، وكذلك سلم دربساك وغيرها من المواضع المذكورة خلا بهسنا، وأطلق الملك الظاهر ابن صاحب سيس ليفون بن هيثوم وتوجه إلى والده، ثم عاد الملك الظاهر إلى الديار المصرية، ووصل إليها في ذي الحجة من هذه السنة.

وفيها اتفق معين الدين سليمان البرواناه مع التتار المقيمين معه ببلاد الروم على قتل ركن الدين قليج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان يبغو بن سلجوق سلطان الروم، فخنق التتر ركن الدين المذكور بوتر، وأقام البرواناه مقامه ولده غياث الدين بن ركن الدين قليج أرسلان المذكور، وله من العمر أربع سنين.

ثم دخلت سنة سبع وستين وستمائة

وفي هذه السنة خرج الملك الظاهر إلى الشام، وخيم في خربة اللصوص وتوجه إلى مصر بالخفية، ووصل إليها بغتة، وأهل مصر والنائب بها لايعلمون بذلك إلا بعد أن صار بينهم، ثم عاد إلى الشام.

وفيها تسلم الملك الظاهر بيبرس بلاطنس من عز الدين عثمان صاحب صهيون.

وفيها توجه الملك الظاهر بيبرس إلى الحجاز الشريف، وكان رحيله من الفوار في الخامس والعشرين من شوال، ووصل إلى الكرك، وأقام به أياماً، وتوجه من الكرك في سادس ذي القعدة الى الشوبك، ورحل من الشوبك في الحادي عشر من الشهر المذكور، ووصل إلى المدينة النبوية في خامس وعشرينه، ووصل إلى مكة في خامس ذي الحجة، ووصل إلى الكرك في سلخ ذي الحجة.

ثم دخلت سنة ثمان وستين وستمائة

فيها توجه الملك الظاهر بيبرس من الكرك مستهل المحرم عند عوده من الحج، فوصل إلى دمشق بغتة، وتوجه في يومه ووصل إلى حماة في خامس المحرم، وتوجه من ساعته إلى حلب ولم يعلم به العسكر إلاّ وهو في الموكب معهم، وعاد إلى دمشق في ثالث عشر المحرم المذكور ثم توجه إلى القدس، ثم إلى القاهرة فوصل إليها في ثالث صفر من هذه السنة.

وفيها عاد الملك الظاهر إلى الشام وأغار على عكا، وتوجه إلى دمشق، ثم إلى حماة.

وفيها جهز الملك الظاهر عسكراً إلى بلاد الاسماعيلية، فتسلموا مصياف في العشر الأوسط من رجب من هذه السنة، وعاد الملك الظاهر من حماة إلى جهة دمشق فدخلها في الثامن والعشرين من رجب، ثم عاد إلى مقر ملكه بمصر.

وفيها حصل بين منكوتمر ابن طغان ملك التتر بالبلاد الشمالية وبين الأشكري صاحب قسطنطينية وحشة، فجهز منكوتمر إلى قسطنطينية جيشاً من التتر، فوصلوا إليها وعاثوا في بلادها، ومروا بالقلعة التي فيها عز الدين كيكاوس بن كيخسرو ملك بلاد الروم محبوساً كما قدمنا ذكره في

سنة اثنتين وستين وستمائة، فحمله التتر بأهله إلى منكوتمر، فأحسن منكوتمر إلى عز الدين المذكور وزوجه،وأقام معه إلى أن توفي عز الدين المذكور في سنة سبع وسبعين وستمائة، فسار ابنه مسعود بن عز الدين المذكور إلى بلاد الروم، وسار سلطان الروم على ماسنذكره إن شاء الله تعالى.

ثم دخلت سنة تسع وستين وستمائة

ذكر فتح حصن الأكراد وحصن عكاروالقرين

في هذه السنة توجه الملك الظاهر بيبرس من الديار المصرية إلى الشام، ونازل حصن الأكراد في تاسع شعبان من هذه السنة، وجد في حصاره، واشتد القتال عليه وملكه بالآمان في الرابع والعشرين من شعبان المذكور، ثم رحل إلى حصن عكا ونازله في سابع عشر رمضان من هذه السنة وجد في قتاله وملكه بالآمان سلخ رمضان المذكور، وعيد الملك الظاهر عليه عيد الفطر فقال محيي الدين بن عبد الظاهر مهنئاً له بفتوح عكار:

يـــــــامليــــــــك الأرض بشرا
لك فقـــــــــدنلـــــــــــت الاراده
إن عكــــــــــــاريقينـــــــــــا
هـــــــوعكـــــــاوزيـــــــاده

وفيها في شوال تسلم الملك الظاهر قلعة العليقة وبلادها من الاسماعيلية. وفيها توجه الملك الظاهر إلى دمشق، وسار منها في العشر الأخير من شوال إلى حصن القرين، ونازله في ثاني ذي القعدة، وزحف عليه وتسلمه بالأمان، وأمر به فهدم، ثم عاد إلي مصر. وفيها جهز الملك الظاهر مايزيد على عشرة شواني لغزو قبرس، فتكسرت في مرسى

obeikandl.com

ليميسول وأسر الفرنج من كان بتلك الشواني من المسلمين، فاهتم السلطان بعمارة شوان أخرى فعمل في المدة اليسيرة ضعف ماعدم.

وفيها توفي هيثوم بن قسطنطين صاحب سيس، وملك بعده ابنه ليفون الذي أسره المسلمون حسبما تقدم ذكره.

وفيها قبض الملك الظاهر على عز الدين بغان المعروف بسم الموت، وعلى المحمدي وغيرهما. وفيها توفي القاضي شمس الدين بن البارزي قاضي القضاة بحماة. وفيها توفي الطواشي شجاع الدين مرشد الخادم المنصوري رحمه الله تعالى، وكان كثير المعروف، وتولى تدبير مملكة حماة مدة، وكان يعتمد عليه الملك الظاهر ويستشيره.

ثم دخلت سنة سبعين وستمائة

فيها توجه الملك الظاهر إلى الشام وعزل جمال الدين أقوش النجمي عن نيابة السلطنة بدمشق، وولى فيها علاء الدين ايدكين الفخري الاستاذ دار في مستهل ربيع الأول، ثم توجه الملك الظاهر إلى حمص، ثم إلى حصن الاكراد ثم عاد إلى دمشق.

وفيها والملك الظاهر بدمشق أغارت التتر على عينتاب، وعلى الروج، وقميطون إلى قرب فامية، ثم عادوا، واستدعى الملك الظاهر عسكراً من مصر فوصلوا إليه صحبة بدر الدين البيسري، فتوجه الملك الظاهر بهم إلى حلب، ثم عاد إلى الديار المصرية، فوصل إليها في الثالث والعشرين من جمادى الأولى. وفيها في شوال، عاد الملك الظاهر بيبرس من الديار المصرية إلى الشام، فوصل إلى دمشق في ثالث صفر. وفيها توفي سيف الدين أحمد بن مظفر الدين عثمان بن منكيرس صاحب صهيون، فسلم

ولداه سابـــــــــــق الديـن، وفخر الدين صهيون إلى الملـك الظاهر، وقدما إلى خدمته، وأحسن إليهما، وأعطى سابق الدين إمرة طبلخاناه.

وفيها نازل التتر البيرة، ونصبوا عليها المناجيـق، وضايقوها وسار إليهم الملك الظاهـر وأراد عبور الفرات إلى بر البيرة، فقاتلـه التتر على المخاضة فاقتحم الفرات وهزم التتر، فرحلـوا عن البيرة وتركوا آلات الحصار بحالها، فصارت للمسلمين، ثم عـاد الملك الظاهر فوصل إلى الـديار المصرية في الخامس والعشريـن من جمادى الآخـرة من هـذه السنة. وفيهـا أفرج عـن الدمياطي مـن ا لاعتقال. وفيها تسلمت نواب الملك الظاهر مـاتأخر من حصون الاسماعيلية،وهي: الكهف والمنيقة، وقـدموس، وفيها اعتقل الملك الظـاهر الشيـخ خضر، وكان قـد بلغ المذكـور عنـد الملك الظـاهر أرفـع منزلة، وانبسطت يده، وانفذ أمره في الشـام ومصر، فاعتقله في قاعة بقلعة الجبل مكرما حتى مات.....

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وستمائة

.....وفيها وصل الملك الظاهربعساكره إلى دمشق.

وفيها عـاد عمر بـن مخلوف أحـد أمراء العـربان إلى الحبـس بعجلون، وكان مـن حديثـه أن الملك الظـاهر حبسـه بعجلون مقيـداً، فهرب مـن الحبـس المذكـور إلى بـلاد التتر، ثـم أرسل يطلـب الأمـان، فقـال الملـك الظاهـر ماأؤمنه إلا أن يعود إلى عجلـون ويضع القيد في رجلـه كما كان، فعاد عمر إلى عجلون، وجعل القيد في رجله فعفـا عنه الملك الظاهر عند ذلك، وفيها قويت أ خبار التتر لقصد الشام فجفل الناس.

وفيها في جمادى الأولى كـانت ولادة العبد الفقير مؤلـف هذا المختصر

اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بدار ابن الزنجيلي بدمشق المحروسة، فان أهلنا كانوا قد جفلوا من حماة إلى دمشق بسبب أخبار التتر.

وفيها توفي الشيخ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن مالك الطائي الجياني النحوي، وله في النحو واللغة مصنفات كثيرة مشهورة، وفيها في ذي القعدة توفي الامير مبارز الدين أقوش المنصوري، مملوك الملك المنصور صاحب حماة، ونائب سلطنته، وكان أميراً جليلا عاقلا شجاعا وهو قبجاقي في الجنس. وفيها في يوم الاثنين ثامن عشر ذي الحجة توفي الشيخ العلامة نصير الدين الطوسي، واسمه محمد بن محمد بن الحسين، الإمام المشهور، وكان يخدم صاحب ألموت، ثم خدم هولاكو وحظي عنده، وعمل لهولاكو رصداً بمراغة وزيجاً، وله مصنفات عديدة كلها نفيسة، منها أقليدس يتضمن الاوضاع، وكذلك المجسطي، وتذكرة في الهيئة لم يصنف في فنها مثلها، وشرح الاشارات، وأجاب عن غالب ايرادات فخر الدين الرازي عليها، وكانت ولادته في حادي عشر جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وكانت وفاته ببغداد ودفن في مشهد موسى الجواد.

سنة ثلاث وسبعين وستمائة

فيها توجه الملك الظاهر بيبرس إلى بلاد سيس، فدخلها بعساكره المتوافرة، وغنموا، ثم عادوا إلى دمشق حتى خرجت هذه السنة.

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وستمائة

فيها نازلت التتر البيرة وكان اسم مقدمهم أقطاي وكان الملك الظاهر

بدمشق فتوجه إلى جهة البيرة فرحل عنها، ولاقى الملك الظاهر الخبر برحليهم، وهو بالقطيفة فأتم السير إلى حلب، ثم عاد إلى مصر. وفيها بعد وصول الملك الظاهر إلى مصر جهز جيشا مع اقسنقر الفارقاني ومعه عز الدين أيبك الأفرم إلى النوبة، فساروا إليها ونهبوا وقتلوا وعادوا بالغنائم. وفيها كان زواج الملك السعيد بركة ابن الظاهر ببيبرس بابنة الامير سيف الدين قلاوون الصالحي، غازية خاتون. وفيها في أواخر السنة المذكورة عاد الملك الظاهر إلى الشام.

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وستمائة

فيها في المحرم وصل الملك الظاهر بيبرس إلى دمشق، وكان قد خرج من مصر في أواخر سنة أربع وسبعين، وبلغه وصول الأمراء الروميين الوافدين، وهم بيجار الرومي، وبهادر ولده، وأحمد بن بهادر وغيرهم، فسار الملك الظاهر إلى جهة حلب، والتقاهم وأكرمهم، ثم عاد إلى الديار المصرية.

ذكر دخول الملك الظاهر إلى بلاد الروم

وفي هذه السنة عاد الملك الظاهر بيبرس بعساكره المتوافرة إلى الشام، وكان خروجه من مصر في يوم الخميس العشرين من رمضان من هذه السنة، ووصل إلى حلب، ثم إلى النهر الأزرق، ثم سار إلى ابلستين، فوصل إليها في ذي القعدة، والتقى بها جمعا من التتر مقدمهم تناون، وكانوا نقاوة المغل، فالتقى الفريقان في أرض ابلستين يوم الجمعة عاشر ذي القعدة من هذه السنة، فانهزم التتر وأخذتهم سيوف المسلمين ، وقتل

مقدمهم تناون وغالب كبرائهم، وأسر منهم جماعة كثيرة صاروا أمراء، وكان من جملة المأسورين في هذه الوقعة سيف الدين قبجق، وسيف الدين أرسلان، وسنذكر أخبارهما إن شاء الله تعالى، وكان الحاكم بالروم يومئذ معين الدين سليمان البرواناه، وكان يكاتب الملك الظاهر في الباطن، وكان يظن الملك الظاهر أنه إذا وصل إلى قيسارية يصل إليه البرواناه على ماكان قد اتفق معه في الباطن، فلم يحضر البرواناه لما أراده الله من هلاكه على ماسنذكره إن شاء الله تعالى، وأقام الملك الظاهر على قيسارية سبعة أيام في انتظار البرواناه، وحطب له على منابرها، ثم رحل عن قيسارية في الثاني والعشرين من ذي القعدة وحصل للعسكر شدة عظيمة من نفاد القوت والعلف، وعدمت غالب خيولهم، ووصلوا إلى عمق حارم، وأقاموا به شهراً، ولما بلغ ابغا بن هولاكو ساق في جموع المغل حتى وصل إلى الابلستين، وشاهد عسكره صرعى، ولم يشاهد أحداً من عسكر الروم مقتولا،فاستشاط غضباً، وأمر بنهب الروم وقتل من مر به من المسلمين، فنهب وقتل منهم جماعة ثم سار أبغا إلى الأردو وصحبته معين الدين البرواناه، فلما استقر بالاردو أمر بقتل البرواناه، فقتل وقتلوا معه نيفاً وثلاثين نفساً من مماليكه وخواصه، واسم البرواناه المذكور سليمان، والبروناه لقب، وهو الحاجب العجمي، وكان مقتله بالاطاغ وكان البرواناه حازما بتدبير المملكة ذا مكر ودهاء.

وفي هذه السنة توفي الشهاب محمد بن يوسف بن زائدة التلعفري الشاعر، وفيها مات الشيخ خضر في حبس الملك الظاهر. وفيها عاد الملك الظاهر من عمق حارم، وتوجه إلى دمشق.

- ١٠٣٢٩ -

ثم دخلت سنة ست وسبعين وستمائة

فيها في خامس المحرم وصل الملك الظاهر بيبرس إلى دمشق ونزل بالقصر الأبلق، وكان قد رحل من عمق حارم في أواخر سنة خمس وسبعين.

ذكر وفاة الملك الظاهر بيبرس

فيها في يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم توفي السلطان الملك الظاهر بيبرس أبو الفتح بيبرس الصالحي النجمي بدمشق، وقت الزوال رحمه الله تعالى، عقب وصوله من بلاد الروم إلى دمشق على ماتقدم ذكره، وقد اختلف في سبب موته، فقيل: انه انكسف القمر كسوفاً كليا وشاع بين الناس أن ذلك سبب موت رجل جليل القدر، فأراد الملك الظاهر أن يصرف التأويل إلى غيره فاستدعى بشخص من أولاد الملوك الأيوبية يقال له الملك القاهر من ولد الملك الناصر داود بن المعظم عيسى، وأحضر قمزا مسموما، وأمر الساقي فسقى الملك القاهر المذكور فشرب الملك الظاهر ناسيا بذلك النهاء على أثر شرب الملك القاهر، فمات الملك القاهر، عقيب ذلك، وأما الملك الظاهر فحصلت له حمى محرقة وتوفي في التاريخ المذكور، وكتم نائبه ومملوكه بدر الدين تنليك المعروف بالخزندار موته وصبره وتركه في قلعة دمشق إلى أن استوت تربته بدمشق قرب الجامع، فدفن فيها وهي مشهورة معروفة، وارتحل بدر الدين تنليك بالعساكر، ومعهم المحفة مظهراً أن الملك الظاهر فيها وأنه مريض، وسار إلى ديار مصر، وكان الملك الظاهر قد حلف العسكر لولده بركة بن بيبرس، ولقبه الملك السعيد، وجعله ولي عهده، فوصل تنليك الخزندار بالخزائن والعسكر إلى الملك السعيد بقلعة الجبل، وعند

ذلك أظهر موت الملك الظاهر، وجلس ابنه الملك السعيد للعزاء واستقر في السلطنة، وكانت مدة مملكة الملك الظاهر نحو سبع عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام، لأنه ملك في سابع محرم من سنة ست وسبعين وستمائة، وكان ملكا جليلا شجاعا عاقلا مهيبا ملك الديار المصرية والشام، وأرسل جيشاً فاستولوا على النوبة، وفتح الفتوحات الجليلة مثل صفد وحصن الأكراد وانطاكية وغيرها على ماتقدم ذكره، وأصله مملوك قبجاقي في الجنس، وسمعت أنه برجعلي، وكان أسمر أزرق العينين، جهوري الصوت، حضر هو ومملوك آخر مع تاجر إلى حماة فاستحضرهما الملك المنصور محمد ليشتريهما فلم يعجبه واحد منهما، وكان ايدكين البندقدار الصالحي مملوك الملك الصالح أيوب صاحب مصر قد غضب عليه الملك الصالح المذكور، وكان قد توجه ايدكين إلى جهة حماة، فأرسل الملك الصالح وقبض على ايدكين المذكور، واعتقله بقلعة حماة، فتركه الملك المنصور صاحب حماة في جامع قلعة حماة، واتفق ذلك عند حضور الملك الظاهر مع التاجر، فلما قلبه الملك المنصور ولم يشتره، أرسل ايدكين البندقدار وهو معتقل فاشتراه، وبقي عنده، ثم أفرج الملك الصالح عن البندقدار، فسارمن حماة وصحبته الملك الظاهر، وبقي مع أستاذه البندقدار المذكور مدة، ثم أخذه الملك الصالح من البندقدار، فانتسب إلى الملك الصالح دون أستاذه، وكان يخطب له وينقش على الدراهم والدنانير ببيبرس الصالحي.

وكان استقرار الملك السعيد بركة ابن الملك الظاهر في مملكة مصر والشام في أوائل ربيع الأول من هذه السنة، أعني سنة ست وسبعين وستمائة، واستقر بدر الدين تنليك الخزندار في نيابة السلطنة على ماكان عليه مع والده، واستمرت الأمور على أحسن نظام فلم تطل أيام تنليك الخزندار ومات بعد ذلك في مدة يسيرة، قيل حتف أنفه، وقيل بل سم، والله أعلم، وتولى نيابة السلطنة بعده شمس الدين الفارقاني، ثم إن الملك السعيد خبط وأراد تقديم الأصاغر، وأبعد الامراء الأكابر، وقبض

على سنقر الاشقر والبيسري، ثم أفرج عنهما بعد أيام يسيرة، ففسدت نيات الأمراء الكبار عليه، وبقي الأمر كذلك حتى خرجت هذه السنة.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وستمائة

ذكر مسير الملك السعيد بركة إلى الشام والاغارة على سيس

وخلاف عسكره عليه

في أثناء هذه السنة سار الملك السعيد بركة إلى الشام، وصحبته العساكر، ووصل إلى دمشق وجرد منها العسكر صحبة الأمير سيف الدين قلاوون الصالحي، وجرد أيضاً صاحب حماة، فساروا ودخلوا إلى بلاد سيس وشنوا الاغارة عليها، واتفقوا على الخلاف على الملك السعيد المذكور، وخلعه من السلطنة لسوء تدبيره، وعبروا على دمشق ولم يدخلوها، فأرسل اليهم الملك السعيد واستعطفهم ودخل عليهم بوالدته فلم يلتفتوا إلى ذلك، وأتموا السير، فركب الملك السعيد وساق وسبقهم إلى مصر وطلع إلى قلعة الجبل، وسارت العساكر في إثره، وخرجت هذه السنة والأمر كذلك.

وفيها توفي عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان بن سلجوق عند منكوتمر ملك التتر بمدينة صراي، وكيكاوس المذكور هو الذي كان محبوسا بقسطنطينية، حسبما تقدم ذكر القبض عليه في سنة اثنتين وستين، وذكر خلاصه، واتصاله بملك التتر، في سنة ثمان وستين وخلف عز الدين المذكور ولدا اسمه مسعود، وقصد منكوتمر أن يزوجه بزوجة ابنه عز الدين كيكاوس، فهرب مسعود واتصل ببلاد الروم فحمل إلى ابغا فأحسن إليه ابغا، وأعطاه سيواس وأرزن الروم وأرزنكان،

واستقرت هذه البلاد لمسعود المذكور، ثم بعد ذلك جعلت سلطنة الروم باسم مسعود المذكور، وافتقر جدا وانكشف حاله وهو آخر من سمي سلطانا من السلجوقية بالروم.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وستمائة

ذكر خلع الملك السعيد بركة ابن الملك الظاهر

في هذه السنة وصلت العساكر الخارجون عن طاعة بركة المذكور إلى الديار المصرية، في ربيع الأول، وحصروا الملك السعيد بركة بقلعة الجبل فخامر على السعيد بركة غالب من كان معه من الأمراء مثل لاجين الزيني، وغيره وبقي يهرب واحد بعد واحد من القلعة ويضم إلى العسكر المحاصر للقلعة، فلما رأى الملك السعيد بركة ذلك أجابهم إلى الانخلاع من السلطنة، وأن يعطى الكرك فأجابوه إلى ذلك، وأنزلوه من القلعة وخلعوه في ربيع الأول من هذه السنة، أعني سنة ثمان وسبعين وستمائة وسفروه من وقتهالى الكرك صحبة بيد عان الركني، وجماعة معه فوصل إليها وتسلمها بما فيها من الأموال، وكان شيئاً كثيراً.

ذكر اقامة سلامش ابن الملك الظاهر بيبرس في المملكة

وفي هذه السنة لما جرى ماذكرناه من خلع الملك السعيد بركة، واعطائه الكرك اتفق أكابر الأمراء الذين فعلوا ذلك مثل بدر الدين بيسري الشمسي، وايتمش السعدي، وبكتاش الفخري أمير سلاح وغيرهم على اقامة بدر الدين سلامش ابن الملك الظاهر بيبرس في المملكة، ولقبوه الملك العادل، وعمره إذ ذاك سبع سنين وشهور، وخطب له وضربت السكة باسمه، وذلك في شهر ربيع الأول من هذه السنة،

وصار الأمير سيف الدين قلاوون الصالحي أتابك العسكر، ولما استقر ذلك جهز اتابك العسكر المذكور الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إلى دمشق، وجعله نائب السلطنة بالشام، وكان العسكر لما خالفوا السعيد بركة قد قبضوا على عز الدين إيدمر نائب السلطنة بدمشق، وتولى تدبير دمشق بعد إيدمر أقوش الشمسي نائب السلطنة بحلب، فسار وتولاها واستمر الحال على ذلك مدة يسيرة.

ذكر سلطنة الملك المنصور قلاوون الصالحي

وفي هذه السنة، أعني سنة ثمان وسبعين وستمائة، في يوم الأحد الثاني والعشرين من رجب كان جلوس السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي في السلطنة بعد خلع الصبي سلامش وعزله، ولما تولى السلطان الملك المنصور، أقام منار العدل،وأحسن سياسة الملك وقام بتدبير المملكة أحسن قيام.

ذكر خروج سنقر الأشقر عن الطاعة وسلطنته بالشام

وفي هذه السنة في الرابع والعشرين من ذي القعدة ، جلس سنقر الأشقر بدمشق في السلطنة ، وحلف له الأمراء والعسكر الذين عنده بدمشق، وتلقب بالملك الكامل شمس الدين سنقر.

وفي هذه السنة توفي الملك السعيد بركة ابن الملك الظاهر بيبرس في الكرك بعد وصوله إليها في مدة يسيرة، وكان سبب موته أنه لعب بالكرة في ميدان الكرك فتقنطر به فرسه، فحصل له بسبب ذلك حمى شديدة ، وبقي كذلك أياما يسيرة، وتوفي وحمل إلى دمشق، ودفن بتربة أبيه،ولما

توفي الملك السعيد، اتفق من بالكرك وأقاموا موضعه أخاه نجم الدين خضر، واستقر في الكرك، ولقبوه الملك المسعود.

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وستمائة

ذكر كسرة سنقر الأشقر

في هذه السنة في التاسع عشر من صفر، كانت كسرة سنقر الأشقر المستولي على الشام، الملقب بالملك الكامل، وكان من حديث هذه الكسرة أن السلطان الملك المنصور قلاوون جهز عساكر ديار مصر، مع علم الدين سنجر الحلبي الذي تقدم ذكر سلطنته بدمشق عقيب قتل قطز، وكان أيضاً من مقدمي العسكر المصري المذكور بدر الدين بكتاش، وبدر الدين الايدمري، وعز الدين الأفرم، فسارت العساكر المذكورة إلى الشام، وبرز سنقر الأشقر بعساكر الشام إلى ظاهر دمشق، والتقى الفريقان في تاسع عشر صفر المذكور، فولى الشاميون ، وسنقر الاشقر منهزمين، ونهبت العساكر المصرية أثقالهم، وكان السلطان الملك المنصور قلاوون قد جعل مملوكه حسام الدين لاجين السلحدار نائباً بقلعة دمشق، فلما هرب سنقر الاشقر أفرج عن حسام الدين لاجين المذكور، وكذلك كان سنقر الأشقر قد اعتقل بيبرس المعروف بالجالق لأنه لم يحلف له، فأفرج عنه أيضاً، وكتب الحلبي إلى السلطان الملك المنصور بالنصر، واستقر الامير لاجين المنصوري المذكور نائب السلطنة بالشام، وأما سنقر الاشقر فإنه هرب إلى الرحبة، وكاتب أبغا بن هولاكو ملك التتر، وأطمعه في البلاد، وكان عيسى بن مهنا ملك العرب مع سنقر الأشقر، وقاتل معه، وكتب بذلك إلى أبغا أيضا موافقة له، ثم سار سنقر الأشقر من الرحبة إلى صهيون في جمادى الأولى من هذه السنة، واستولى عليها، وعلى برزية وبلاطنس والشغر وبكاس وعكار وشيزر وفامية وصارت هذه الاماكن لسنقر الأشقر.

وفيها توفي أقوش الشمسي، نائب السلطنة بحلب، وولى السلطان الملك المنصور قلاوون على حلب علم الدين سنجر الباشغردي.

وفيها قويت أخبار التتر وأنهم واصلون إلى البلاد الاسلامية بجموعهم.

وفيها جعل الملك المنصور قلاوون ولده الملك الصالح علاء الدين علي ولي عهده، وسلطنه وركب بشعار السلطنة.

وفيها سار السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي من الديار المصرية، ووصل إلى غزة، وكان التتر قد وصلوا إلى حلب، فعاثوا ثم عادوا، فعاد السلطان إلى مصر في جمادى الآخرة من هذه السنة.

وفيها استأذن سيف الدين بلبان الطباخي، أحد مماليك الملك المنصور، وكان نائب السلطنة بحصن الأكراد في الاغارة على بلد المرقب لما اعتمده أهله من الفساد عند وصول التتر إلى حلب، فأذن له السلطان في ذلك فجمع بلبان الطباخي المذكور عساكر الحصون، وسار إلى المرقب فاتفق هروب المسلمين، ونزل الفرنج من المرقب وقتلوا وأسروا من المسلمين جماعة.

وفيها في مستهل ذي الحجة خرج السلطان الملك المنصور قلاوون من مصر وسار عائدا إلى الشام، وخرجت هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثمانين وستمائة

والسلطان الملك المنصور بالروحاء، وأقام هناك مدة، ثم سار إلى بيسان وقبض على جماعة من الظاهرية ، ودخل دمشق وأعدم منهم جماعة مثل: كوندك، وايدغمش الحلبي، وبيبرس الرشيدي، وأرسل عسكرا إلى شيزر ، وهي لسنقر الأشقر، وجرى بينهم مناوشة ، ثم إنه

ترددت الرسل بين السلطان وبين سنقر الأشقر ، واحتاج السلطان إلى مصالحته لقوة أخبار التتر، ووقع بينهم الصلح على أن يسلم شيزر إلى السلطان ويتسلم سنقر الأشقر الشغر وبكاس، وكانتا قد ارتجعتا منه، فتسلم نواب السلطان شيزر، وتسلم الشغر وبكاس سنقر الأشقر، وحلفا على ذلك، واستقر الصلح بينهما. وفيها أيضا استقر الصلح بين السلطان الملك المنصور قلاوون وبين الملك خضر ابن الملك الظاهر بيبرس، صاحب الكرك.

ذكر الوقعة العظيمة مع التتر على حمص

في هذه السنة أعني سنة ثمانين وستمائة، في شهر رجب، كان المصاف العظيم بين المسلمين وبين التتر بظاهر حمص، فنصر الله تعالى فيه المسلمين بعد ما كانوا قد أيقنوا بالبوار، وكان من حديث هذا المصاف العظيم أن أبغا بن هولاكو حشد وجمع وسار بهذه الحشود طالبا الشام، ثم انفرد أبغا المذكور عنهم وغنم وسار إلى الرحبة، وسير جيوشه وجموعه إلى الشام، وقدم عليهم أخاه منكوتمر ابن هولاكو، وسار إلى جهة حمص. وسار السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي بالجيوش الاسلامية من دمشق إلى جهة حمص أيضا، وأرسل إلى سنقر يستدعيه بمن عنده من الأمراء والعسكر بحكم ما استقر بينهما من الصلح واليمين، فسار سنقر الأشقر من صهيون فلما نزل السلطان بظاهر حمص، وصل إليه الملك المنصور صاحب حماة بعسكره، ثم وصل سنقر الأشقر وصحبته ايتمش السعدي، والحاج أزدمر، وعلم الدين الدويداري، وجماعة من الظاهرية، ورتب السلطان عسكره ميمنة وميسرة، وكان رأس الميمنة الملك المنصور محمد صاحب حماه بعسكره، ثم بدر الدين البيسرى دونه ثم علاء الدين طيبرس الوزيري، ثم أيبك الأفرم، ثم جماعة من العسكر المصري، ثم عسكر الشام ومقدمهم حسام الدين لاجين نائب السلطنة بالشام، وكان رأس الميسرة سنقر الأشقر ومن معه، ثم بدر الدين تنليك الإيدمري، ثم

بدر الدين بكتاش أمير سلاح ، وكان بر الميمنة العرب، وبر الميسرة التركمان، وكان شاليش القلب حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة، ومن أضيف إليه من الأمراء والعساكر، والتقى الفريقان بظاهر حمص في الساعة الرابعة من يوم الخميس رابع عشر رجب الفرد من هذه السنة، أعني سنة ثمانين وستمائة، وأنزل الله نصرته على القلب والميمنة فهزموا من كان قبالتهم من التتر، وركبوا قفاهم يقتلونهم، وكان منكوتمر قبالة القلب فانهزم أيضا، وأما ميسرة المسلمين فانها انكشفت عن مواقفها، وتم ببعضهم الهزيمة إلى دمشق، وساق التتر في إثر المنهزمين حتى وصلوا إلى تحت حمص، ووقعوا في السوقية وغلمان العسكر والعوام، وقتلوا منهم خلقاً كثيرا، ثم علموا بنصرة المسلمين وهزيمة جيشهم، فولى المذكورون أيضا منهزمين على أعقابهم، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، وكانت عدة التتر ثمانين ألف فارس، منهم خمسون ألفا من المغل، والباقي حشود وجموع من أجناس مختلفة مثل: الكرج، والأرمن، والعجم وغيرهم، ولما وصل خبر هذه الكسرة إلى أبغا وهو على الرحبة يحاصرها رجل عنها على عقبه منهزما، وكتب بهذا الفتح العظيم إلى سائر البلاد الاسلامية فزينت لذلك، ثم إن السلطان الملك المنصور قلاوون أعطى الدستور للعساكر الشامية، فرجع الملك المنصور محمد صاحب حماة إلى بلده، ورجع سنقر الأشقر وجماعته إلى صهيون، وسار عسكر حلب إليها، وعاد السلطان إلى دمشق، والأسرى والرؤوس بين يديه.

وفيها عاد السلطان الملك المنصور قلاوون إلى الديار المصرية مؤيدا منصورا. وفيها عند وصوله إلى مستقر ملكه قدمت إليه هدية صاحب اليمن المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول، وطلب أمانا من السلطان فقبل السلطان هديته، وكانت من طرائف اليمن مثل العود والعنبر والصيني، ورماح القنا، وغير ذلك، وكتب له السلطان أمانا صدره:« هذا أمان الله تعالى، وأمان سيدنا محمد صلى الله وسلم،

وأمـاننا لأخينـا السلطان الملـك المظفر شمـس الديـن يوسـف بن عمـر، صاحـب اليمن، إننا راعو ن لـه ولأولاده، مسالمون من سالمهـم، معادون من عـاداهم.» ونحو ذلك، وكـان ذلك في العشر الأول من رمضـان هذه السنة، وأرسـل السلطان إليـه هدية مـن أسلاب التتر وخيـولهم، وعادت رسله بذلك مكرمين.

وفيها مـات منكوتمربن هولاكـو بن طلو بـن جنكيز خان بجزيـرة ابن عمر مكمـوداً، عقب كسرته على حمص وكـان موتـه من جملة هـذا الفتح العظيم.

وفيها توفي علاء الدين عطاء ملـك بن محمد الجويني ، وكان صاحب الديـوان ببغداد، فنقب عليه ابغـانسبه الى مواطأة المسلمين، وقبـض عليه واخذ امواله وكان صدراً كبيراً فاضلاً له شعر حسن فمنه في تركيا:

أبـــاديـــة الأعـــراب عنـــي فـــانـــي
بحـــاضرة الأتـــراك نيطـــت عـــلائقـــي
وأهلـــك يـــانجـــل العيـــون فـــإننـــي
جننـــت بهذا النـــاظـــر المتضـــايـــق

وكانـت وفاتـه بعراق العجـم، وولي بعده ابـن أخيه هـارون بن محمـد الجويني.

ثم دخلت سنة احدى وثمانين وستمائة

فيهـا ولى السلطان مملـوكـه شمس الـديـن قرا سنقـر نيـابة السلطنـة بحلب، فسار إليها واستقر.

ذكر موت ابغا

وفيها في المحرم مات ابغا بن هولاكو بن جنكز خان ملك التتر ، قيل إنه مات مسموماً، وكان موته ببلاد همذان، وكانت مدة ملكه نحو سبع عشرة سنة وكسورا، وخلف من الولد أرغون، وكيختو ابنا ابغا، ولما مات ابغا ملك بعده أخوه أحمد بن هولاكو، واسم أحمد المذكور بيكدار ، فلما جلس في الملك أظهر دين الاسلام، وتسمى بأحمد سلطان.

وفيها وصلت رسل أحمد بن هولاكو ملك التتر المذكور إلى السلطان الملك المنصور قلاوون، وكان كبير الرسل المذكورين الشيخ المتقن قطب الدين محمود الشيرازي، وكان إذ ذاك قاضي سيواس، فاحترز عليهم السلطان ولم يمكن أحدا من الاجتماع بهم، وكان مضمون رسالتهم اعلام السلطان بإسلام أحمد المذكور، وطلب الصلح بين المسلمين والتتر، فلم ينتظم ذلك، ثم عادت رسله إليه بالجواب.

وفيها توفي منكوتمر بن طغان بن باطو بن دوشي خان ابن جنكز خان ملك التتر بالبلاد الشمالية، وملك بعده أخوه تدان منكو بن طغان بن باطو بن دوشي خان بن جنكز خان ، وجلس على كرسي التتر بصراي، وقيل إن ذلك كان سنة ثمانين.

وفيها عقد للملك الصالح علاء الدين علي ابن السلطان الملك المنصور قلاوون على بنت سيف الدين بكيه، ثم تزوج أخوه الملك الأشرف باختها الأخرى، وكان بكيه معتقلا بالاسكندرية، فلما عزم السلطان على ذلك أخرجه من الحبس وأحسن إليه، وزوج ابنيه واحدا بعد الآخر ببنتى بكيه المذكور.

وفيها توفي القاضي الفاضل، المحقق شمس الدين أحمد بن محمد بن

أبي بكر بن خلكان البرمكي، وكان فاضلاً عالما، تولى القضاء بمصر والشام ، وله مصنفات جليلة، مثل وفيات الاعيان في التاريخ وغيره، وكان مولده يوم الخميس بعد صلاة العصر حادي عشر ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة بمدينة إربل، بمدرسة سلطانها مظفر الدين صاحب إربل ، نقلت ذلك من تاريخه في ترجمة زينب في أخر حرف الزاي.

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وستمائة

في أوائل هذه السنة قدم الملك المنصور محمد صاحب حماة، وصحبته الملك الأفضل علي إلى خدمة السلطان الملك المنصور قلاوون بالديار المصرية ، فبالغ السلطان في إكرام صاحب حماة والاحسان إليه، وأنزله بالكبش، وأركبه بالسناجق السلطانية والجفت والغاشية، وسأله عن حوائجه فقال الملك المنصور: حاجتي أن أعفى من هذا اللقب فإنه ما بقي يصلح لي أن ألقب بالملك المنصور وقد صار هذا لقب مولانا السلطان الأعظم، فأجابه السلطان بأني ما تلقبت بهذا الاسم إلاّ لمحبتي فيك، ولو كان لقبك غير ذلك كنت تلقبت به فشيء فعلته محبة لاسمك كيف أمكن من تغييره، وطلع السلطان بالعسكر المصري لحفر الخليج الذي بجهة البحيرة، وسار صاحب حماة في خدمته إلى الحفير، ثم أعطى بعد ذلك الدستور لصاحب حماة، فعاد مكرماً مغمورا بالصدقات السلطانية، وفيها رمى السلطان الملك الصالح علاء الدين علي بن السلطان بجعاً بجهة العباسية بالبندق، وأرسله للملك المنصور محمد صاحب حماة، فقبله وبالغ في إظهار السرور والفرح بذلك، وأرسل إليه تقدمة جليلة.

وفيها خرج أرغون بن أبغا بخراسان على عمه بيكدار المسمى بأحمد سلطان، وسار إليه واقتتلا، فانهزم أرغون وأخذه أحمد أسيرا وسأل الخواتين في اطلاق ارغون واقراره على خراسان، فلم يجب إلى ذلك،

وكانت خواطر المغل قد تغيرت على أحمد بسبب اسلامه والزامه لهم بالاسلام، فاتفقوا على قتله وقصدوا أرغون بالموضع الذي هو معتقل فيه، وأطلقوه وكبسوا الناق نائب أحمد فقتلوه، ثم قصدوا الأردو فأحس بهم السلطان أحمد فركب وهرب، فتبعوه وقتلوه، وملكوا أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكز خان وذلك في جمادى الأولى من هذه السنة.

وفيها قتل أرغون الصبي سلطان الروم الذي أقامه البر واناه بعد قتله أباه، حسبما تقدم ذكره في سنة ست وستين وستمائة، وكان اسم الصبي المذكور غياث الدين كيخسرو بن ركن الدين قليج أرسلان بن كيخسرو إبن قليج أرسلان، وفوض اسم سلطنة الروم إلى مسعود بن عز الدين كيكاوس، وهذا مسعود هو الذي هرب من منكوتمر ملك التتر بصراي، وأبوه عز الدين كيكاوس هو الذي جرى له مع الاشكري صاحب قسطنطينية على ما قدمنا ذكره في سنة اثنتين وستين وستمائة، واستمرت سلطنة الروم باسم مسعود المذكور إلى سنة ثمان وسبعمائة ، وهو مسعود إبن كيكاوس بن كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن قطلومش من السلجوقية ببلاد الروم، وافتقر مسعود المذكور، وانكشف حاله جداً حتى قيل إنه تناول سما فمات من كثرة المطالبة من أرباب الدين والتتر.

وفيها ولى أرغون سعد الدولة اليهودي وعظمه ومكنه وكان سعد الدولة المذكور في مبدأ أمره دلالاً بسوق الصاغة بالموصل، فحكم في سائر البلاد التي بأيدي التتر.

وفيها قرر أرغون ولديه: قازان، وخربنده بخراسان، وجعل أتابكهما أميرا كبيرا من أصحابه اسمه نوروز.

وفيها مات الأشكري صاحب قسطنطينية ، واسمه ميخائيل، وملك بعده ابنه ماندس وتلقب بالدوقس.

وفيها: كاتب الحكام بقلعة الكختا قرا سنقر نائب السلطنة بحلب وسلموا الكختا إلى السلطان، فجهز قرا سنقر عسكرا فتسلموها، وقرر السلطان فيها نوابه وحصنها وصارت من أعظم الثغور الاسلامية نفعا.

وفيها في رجب قدم السلطان إلى دمشق، وكان قد سار من مصر في جمادى الآخرة.

وفيها كان السيل العظيم بدمشق في العشر الأول من شعبان، والسلطان الملك المنصور قلاوون بدمشق، وأخذ ما مربه من العمارات وغيرها، واقتلع الاشجار، وأهلك خلقا كثيرا، وذهب للعسكر النازلين على جوانب بردى من الخيل والجمال والخيم ما لا يحصى، وتوجه السلطان عقيبه إلى الديار المصرية، ووصل إلى قلعة الجبل في ثامن عشر رمضان من هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وستمائة

فيها سار السلطان الملك المنصور قلاوون إلى دمشق، وحضر الملك المنصور صاحب حماة إلى خدمته إلى دمشق، ثم عاد كل منهما إلى مقر ملكه.

ذكر وفاة الملك المنصور صاحب حماة

في هذه السنة في شوال توفي السلطان الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالي أحمد بن الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك

المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة، رحمه الله تعالى، ابتدأ فيه المرض في أوائل شعبان بعد عوده من خدمة السلطان من دمشق، وكان مرضه حمى صفراوية داخل العروق، ثم صلح مزاجه بعض الصلاح فأشار الاطباء بدخوله الحمام فعاوده المرض، وأحضر له الاطباء من دمشق مع من كان في خدمته منهم، واشتد به ذات الجنب، وعالجوه بما يصلح لذلك فلم يفد شيئاً، وفي مدة مرضه أعتق مماليكه، وتاب توبة نصوحا، وكتب إلى السلطان الملك المنصور قلاوون يسأله في اقرار ابنه الملك المظفر محمود في مملكته على قاعدته، واشتد به مرضه حتى توفي بكرة حادي عشر شوال من هذه السنة، أعني سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وكانت ولادته في الساعة الخامسة من يوم الخميس لليلتين بقيتا من ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، فيكون عمره إحدى وخمسين سنة وستة أشهر وأربعة عشر يوما، وملك حماة يوم السبت ثامن جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وستمائة وهو اليوم الذي توفي فيه والده الملك المظفر محمود، فيكون مدة ملكه إحدى وأربعين سنة وخمسة أشهر وأربعة أيام، وكان أكبر أمانيه أن يعيش إلى أن يسمع جوابه من السلطان فيما سأله من اقرار حماة على ولده الملك المظفر محمود، فاتفق وفاته قبل وصول الجواب، وكان قد أرسل في ذلك على البريد مملوكه سنقر أمير آخور، فوصل بالجواب بعد موت الملك المنصور بستة أيام، ونسخة الجواب من السلطان بعد البسملة: « المملوك قلاوون أعز الله أنصار المقام العالي المولوي السلطاني الملكي المنصوري الناصري، ولا عدمه الاسلام، ولا فقدته السيوف والأقلام، وحماه من أذى داء وعود عواد والمام آلام.المملوك يجدد الخدمة التي كان يود تجديدها شفاهاً، ويصف ما عنده من الألم لما ألم بمزاجه الكريم، حتى أنه لم يكد يفتح بالحديث فاها، ولما وقفنا على الكتاب المولوي المتضمن بمرض الجسد المحروس ، وانتهى إليه الحال كادت القلوب تنشق والنفوس تذوب حزنا، والرجاء من الله أن يتداركه بلطفه، وأن يمن بعافيته التي رفع في مسألتها يديه،

وبسط كفيه، وهو يرجو من كرم الله معاجلة الشفاء، ومداركة العافية الموردة بعد الكدر مورد الصفاء، وإن الله يفسح في أجل المولى ويهبه العمر الطويل، وأما الاشارة الكريمة إلى ما ذكره من حقوق يوجبها الإقرار، وعهود أمنت بدورها من السرار، ونحن نحمد الله ، فعندنا تلك العهود ملحوظة، وتلك المودات محفوظة، فالمولى يعيش قرير العين فما ثم إلاّ ما يسره من إقامة ولده مقامه لايحول ولايزول، ولايرى على ذلك ذلة ولاذهول، ويكون المولى طيب النفس مستديم الأنس بصدق العهد، القديم، وبكل ما يؤثر من خير مقيم.» ولما وصل الكتاب اجتمع لقراءته الملك الأفضل والملك المظفر، وعلم الدين سنجر المعروف بأبي خرص وقرئ عليهم، وتضاعف سرورهم بذلك، وكان الملك المنصور محمد صاحب حماة المذكور ملكا ذكيا فطنا محبوب الصورة ، وكان له قبول عظيم عند ملوك الترك، وكان حليما إلى الغاية ، يتجاوز عما يكره ويكتمه ولا يفضح قائله، من ذلك أن الملك الظاهر بيبرس قدم إلى حماة ونزل بالدار المعروفة الآن بدار المبارز، فرفع إليه أهل حماة عدة قصص يشكون فيها من الملك المنصور، فأمر الملك الظاهر دواداره سيف الدين بلبان أن يجمع القصص ولا يقرأها، ويضعها في منديل، ويحملها إلى الملك المنصور صاحب حماة، فحملها الدوادار المذكور وأحضرها إلى الملك المنصور، وقال إنه والله لم يطلع السلطان ـ يعني الملك الظاهر ـ على قصة منها، وقد حملها إليك، فتضاعف دعاء الملك المنصور لصدقة الملك الظاهر، وخلع على الدوادار، وأخذ القصص، وقال بعض الجماعة: سوف نرى من تكلم بشيء لاينبغي وتكلموا بمثل ذلك، فأمر الملك المنصور باحضار نار، وحرق تلك القصص ولم يقف على شيء منها لئلا يتغير خاطره على رافعها ، وله مثل ذلك كثير رحمه الله تعالى.

ذكر ملك الملك المظفر حماة

ولما بلغ السلطان الأعظم الملك المنصور وفاة الملك المنصور صاحب

حماة قرر ابنه الملك المظفر محموداً ابن الملك المنصور محمد في ملك حماة على قاعدة والده، وأرسل إليه وإلى عمه الملك الأفضل وإلى أولاده التشاريف، ومكاتبة إلى الملك المظفر بذلك، ووصلت التشاريف ولبسناها في العشر الأخير من شوال من هذه السنة، أعني سنة ثلاث وثمانين وستمائة، ونسخة الكتاب الواصل من السلطان بعد البسملة:« المملوك قلاوون، أعز الله نصرة المقام العالي المولوي السلطاني الملكي المظفري التقوي، ونزع عنه لباس البأس، وألبسه خلل السعد المجلوة على أعين الناس، وهو يخدم خدمة بولاء قد تبجست عيونه، وتأسست مبانيه وتيابست ظنونه، وحلت رهونه، وخلت ديونه، وأثمرت غصونه، وزهت أفنانه وفنونه» ومنها: « وقد سيرنا المجلس السامي جمال الدين أقوش الموصلي الحاجب، وأصحبناه من الملبوس الشريف ما يغير به لباس الحزن ، وينجلي في مطلعه ضياء وجه الحسن، وينجلي بذلك غيوم تلك الغموم، وأرسلنا أيضا صحبته ما يلبسه هو وذووه، كما يبدو البدر بين النجوم» وآخر الكتاب:« وكتب في عشرين شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة» وكان قد وقع الاتفاق عند موت الملك المنصور على إرسال علم الدين سنجر أبي خرص الحموي لأجل هذا المهم ، فلاقى سنجر المذكور جمال الدين الموصلي بالخلع في اثناء الطريق، فأتم سنجر أبو خرص السير ووصل إلى الأبواب الشريفة السلطانية ،فتلقاه السلطان بالقبول، وأعاده بكل ما يحب ويختار وقال: نحن واصلون إلى الشام، ونفعل مع الملك المظفر، فوق ما في نفسه، فعاد علم الدين سنجر أبو خرص إلى حماة، ومعه الجواب بنحو ذلك.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وستمائة

ذكر ركوب الملك المظفر صاحب حماة بشعار السلطنة

في هذه السنة في صفر، كان ركوب السلطان الملك المظفر محمود

صاحب حماة بشعار السلطنة بدمشق المحروسة، وصورة ما جرى في ذلك أن السلطان الملك المنصور قلاوون وصل في هذه السنة في أواخر المحرم بعساكره المتوافرة إلى دمشق المحروسة، وسار الملك المظفر صاحب حماة، وعمه الملك الافضل ووصلا إليه إلى دمشق، فأكرمهما السلطان إكراماً كثيراً، وأرسل إلى الملك المظفر في اليوم الثالث بعد وصوله التقليد بسلطنة حماة، والمعرة، وبارين، والتشريف وهو أطلس أحمر فوقاني بطراز زركش وسنجاب ودايره قندس، وقباء أطلس أصفر تحتاني، وشاش تساعي وكلوته زركش، وحياصة ذهب، وسيف محلى بالذهب، وتلكش وعنبرينا، وثوب بطرز مذهبة ، ولباس ، وأرسل شعار السلطنة وهو سنجق بعصائب سلطانية وفرس بسرج ذهب ورقبة وكبوش، وأرسل الغاشية السلطانية، فلبس الملك المظفر ذلك، وركب بشعار السلطنة، وحضرت أمراء السلطان، ومقدمو العسكر، وساروا معه من الموضع الذي كان فيه، وهو داره المعروفة بالحافظية داخل باب الفراديس بدمشق المحروسة إلى أن وصل إلى قلعة دمشق، ومشت الأمراء في خدمته، ودخل الملك المظفر إلى عند السلطان فأكرمه وأجلسه إلى جانبه على الطراحة، وطيب خاطره، وقال له: أنت ولدي، وأعز من الملك الصالح عندي، فتوجه إلى بلادك، وتأهب لهذه الغزاة المباركة، فأنتم من بيت مبارك ما حضرتم في مكان إلاّ وكان النصر معكم، فعاد الملك المظفر، وعمه الملك الأفضل إلى حماة، وعملا أشغالهما، وكذلك باقي العسكر الحموي، وتأهبوا للمسير إلى خدمة السلطان ثانياً.

ذكر فتوح المرقب

في هذه السنة سار السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون بعد وصوله إلى دمشق بالعساكر المصرية والشامية، ونازل حصن المرقب في أوائل ربيع الأول من هذه السنة، وهو حصن للاسبتار في غاية العلو والحصانة، لم يطمع أحد من الملوك الماضين في فتحه، فلما زحف العسكر

عليه أخذ الحجارون فيه النقوب، ونصبت عليه عدة مجانيق كباراً وصغاراً، يقول العبد الفقير مؤلف هذا المختصر: إنني حضرت حصار الحصن المذكور، وعمري إذ ذاك نحو اثنتي عشرة سنة، وهو أول قتال رأيته ، وكنت مع والدي، ولما تمكنت النقوب من أسوار القلعة طلب أهله الأمان، فأجابهم السلطان رغبة في إبقاء عمارته، فإنه لو أخذه بالسيف وهدمه كان حصل التعب في إعادة عمارته، فأعطى أهله الأمان على أن يتوجهوا بما يقدرون على حمله غير السلاح، وصعدت السناجق السلطانية على حصن المرقب المذكور، وتسلمه في الساعة الثامنة من نهار الجمعة تاسع عشر ربيع الأول من هذه السنة، أعني سنة أربع وثمانين وستمائة، وكان يوما مشهودا أخذ فيه الثار من بيت الاسبتار، ومحيت آية الليل بآية النهار، فأمر السلطان فحمل أهل المرقب إلى مأمنهم، ولما ملكه قرر أمره ،ورحل عنه إلى الوطاة بالساحل، وأقام بمروج بالقرب من موضع يقال له برج القرفيص، ثم سار السلطان ونزل تحت حصن الأكراد ،ثم سار ونزل على بحيرة حمص، وهي بحيرة قدس.

ذكر مولد مولانا السلطان الأعظم الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي

في هذه السنة ولد مولانا السلطان الأعظم المذكور من زوجة السلطان وهي بنت سكتاي بن قراجين بن جنعان، وسكتاي المذكور ورد إلى الديار المصرية هو وأخوه قرمشي سنة خمس وسبعين وستمائة صحبه بيجار الرومي في الدولة الظاهرية، فتزوج السلطان الملك المنصور قلاوون ابنة سكتاي المذكور في سنة ثمانين وستمائة بعد موت أبيها المذكور، بولاية عمها قرمشي، ووردت البشائر بمولده إلى السلطان، وهو نازل على بحيرة حمص عند عوده من فتح المرقب، فتضاعف سروره، وضربت

البشائر فرحاً بمولده السعيد. وفيها عاد السلطان إلى الديار المصرية ، وأعطى الملك المظفر عند رحيله عن حمص الدستور، فعاد إلى حماة.

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وستمائة

فيها أرسل السلطان عسكراً كثيفا مع نائب سلطنته حسام الدين طرنطاي المنصوري، وأمره بمنازلة الكرك، فسار إليها وحاصرها ، وتسلمها بالأمان، وأقام بها نواب السلطان، وعاد وصحبته أصحاب الكرك جمال الدين خضر، وبدر الدين سلامش ولدا الملك الظاهر بيبرس، فأحسن السلطان إليهما، ووفى لهما بأمانه وبقيا على ذلك مدة طويلة ، ثم بلغه عنهما ما كرهه فاعتقلهما فبقيا في الحبس حتى توفي، فنقل خضر وسلامش ولدا الملك الظاهر بيبرس إلى القسطنطينية.

وفيها خرج السلطان من الديار المصرية إلى غزة، ثم سار إلى الكرك فوصل إليها في شعبان، وقرر أمورها، ثم عاد إلى جهة غابة أرسوف، وأقام مدة، ثم عاد إلى الديار المصرية.

وفيها : توفي ركن الدين أباجي الحاجب.

ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة

ذكر فتوح صهيون

كان السلطان قد جهز عسكرا كثيفا مع نائب سلطنته حسام الدين طرنطاي بمن معه من العساكر المصرية والشامية في هذه السنة إلى قلعة صهيون، ونصب عليها المجانيق وضايقها بالحصار، فأجابه صاحبها الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إلى تسليمها بالأمان، وحلف له حسام الدين طرنطاي، فنزل سنقر الأشقر إليه وسلم صهيون في ربيع الأول من

هذه السنة ، فتسلمها طرنطاي وأكرم الاشقر المذكور غاية الإكرام ، ثم سار حسام الدين طرنطاي إلى اللاذقية، وكان بها برج للفرنج يحيط به البحر من جميع جهاته، فركب طريقا إليه في البحر بالحجارة، وحاصر البرج المذكور وتسلمه بالأمان وهدمه، ثم بعد ذلك توجه إلى الديار المصرية وصحبته سنقر الأشقر، فلما وصلا إلى قرب قلعة الجبل ركب السلطان الملك المنصور قلاوون والتقى مملوكه حسام الدين طرنطاي وسنقر الأشقر وأكرمه، ووفى له بالأمان، وبقي سنقر الأشقر مكرما محترما مع السلطان إلى أن توفي السلطان، وملك بعده الملك الأشرف، فكان من أمره ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها نزل تدان منكو بن طغان بن باطو بن دوش خان بن جنكز خان عن مملكة التتر بالبلاد الشمالية، وأظهر التزهد والانقطاع إلى الصلحاء، وأشار إلى أن يملكوا ابن أخيه تلابغا بن منكوتمر بن طغان المذكور، فملك بعده تلابغا ابن المذكور.

وفيها أرسل السلطان الملك المنصور عسكرا مع علم الدين سنجر المسروري المعروف بالحباط متولى القاهرة إلى النوبة، فساروا إليها وغزوا وغنموا وعادوا.

وفيها توفي بدر الدين تنليك الايدمري.

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وستمائة

فيها توفي الملك الصالح علاء الدين علي ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون، وهو الذي جعله ولي عهده وسلطنه في حياته، فوجد عليه السلطان والده وجداً عظيماً، وكان مرضه بالدوسنطريا، وخلف الملك الصالح المذكور ولداً اسمه موسى بن على.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستمائة

ذكر فتوح طرابلس

في هذه السنة من أول ربيع الآخر فتحت طرابلس الشام، وصورة ما جرى أن السلطان الملك المنصور خرج بالعساكر المصرية في المحرم من هذه السنة ، وسار إلى الشام، ثم سار بالعساكر المصرية والشامية، ونازل مدينة طرابلس الشام يوم الجمعة مستهل ربيع الأول من هذه السنة، ويحيط البحر بغالب هذه المدينة، وليس عليها قتال في البر إلاّ من جهة الشرق، وهو مقدار قليل ولما نازلها السلطان نصب عليها عدة كثيرة من المجانيق الكبار والصغار، ولازمها بالحصار، واشتد عليها القتال حتى فتحها يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر من هذه السنة بالسيف، ودخلها العسكر عنوة، فهرب أهلها إلى الميناء، فنجا أقلهم في المراكب، وقتل غالب رجالها، وسبيت ذراريهم، وغنم منهم المسلمون غنيمة عظيمة.

وحصار طرابلس هو أيضا مما شاهدته وكنت حاضراً فيه مع والدي الملك الأفضل، وابن عمي الملك المظفر صاحب حماة، ولما فرغ المسلمون من قتل أهل طرابلس ونهبهم،أمر السلطان فهدمت ودكت إلى الارض، وكان في البحر قريباً من طرابلس جزيرة وفيها كنيسة تسمى كنيسة سنطماس، وبينها وبين طرابلس الميناء، فلما أخذت طرابلس هرب إلى الجزيرة المذكورة والى الكنيسة التي فيها عالم عظيم من الفرنج والنساء، فاقتحم العسكر الاسلامي البحر، وعبروا بخيولهم سباحة إلى الجزيرة المذكورة، فقتلوا جميع من فيها من الرجال، وغنموا ما بها من النساء، والصغار، وهذه الجزيرة بعد فراغ الناس من النهب عبرت إليها في مركب فوجدتها ملأى من القتلى بحيث لايستطيع الانسان الوقوف فيها من نتن القتلى.

ولما فرغ السلطان من فتح طرابلس وهدمها ، عاد إلى الديار المصرية، وأعطى صاحب حماة الدستور، فعاد إلى بلده، وكان الفرنج قد استولوا على طرابلس في سنة ثلاث وخمسمائة في حادي عشر ذي الحجة، فبقيت بأيديهم إلى أوائل هذه السنة، أعني سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، فيكون مدة لبثها مع الفرنج نحو مائة سنة وخمس وثمانين سنة وشهور.

وفيها مات قبلاي خان بن طلو بن جنكز خان ملك التتر بالصين، وهو أعظم الخانات والحاكم على كرسي مملكة جنكز خان، وكان قد طالت مدته ولما مات قبلاي خان جلس بعده ولده شهون.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وستمائة

ذكر وفاة السلطان سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي

في هذه السنة في سادس ذي القعدة توفي الملك المنصور المذكور، وصورة وفاته أنه خرج من الديار المصرية بالعساكر المتوافرة على عزم غزو عكا وفتحها، وبرز إلى مسجد التبرز، فابتدأ مرضه في العشر الأخير من شوال بعد نزوله بالدهليز في المكان المذكور، وأخذ مرضه يتزايد حتى توفي يوم السبت سادس ذي القعدة بالدهليز، وكان جلوسه في الملك يوم الأحد الثاني والعشرين من رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة، فتكون مدة ملكه نحو احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وأياما، وخلف ولدين هما الملك الأشرف صلاح الدين خليل، والسلطان الأعظم الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد، وكان السلطان الملك المنصور المشار إليه ملكا مهيباً حليماً، قليل سفك الدماء، كثير العفو شجاعاً، فتح الفتوحات الجليلة مثل: المرقب، وطرابلس، التي لم يجسر أحد من الملوك مثل صلاح الدين وغيره على التعرض إليهما، لحصانتهما، وكسر جيش التتر على حمص ، وكانوا في جمع عظيم لم يطرق الشام قبله مثله، ولايحتمل

هذا المختصر ذكر فضائله، رحمه الله تعالى ورضي عنه.

ذكر سلطنة ولده الملك الاشرف

ولما توفي السلطان جلس في الملك بعده ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور قلاوون المذكور، وكان جلوسه في سابع ذي القعدة من هذه السنة، صبيحة اليوم الذي توفي فيه والده، ولما استقر السلطان الملك الأشرف في المملكة قبض على حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة في يوم الجمعة ثاني عشر ذي القعدة، فكان آخر العهد به ، وفوض نيابة السلطنة إلى بدر الدين بيدار، والوزارة إلى شمس الدين محمد بن السلعوس

ثم دخلت سنة تسعين وستمائة

ذكر فتوح عكا

في هذه السنة في جمادى الآخرة فتحت عكا.

وسبب ذلك أن السلطان الملك الأشرف سار بالعساكر المصرية إلى عكا، وأرسل إلى العساكر الشامية وأمرهم بالحضور وأن يحضروا صحبتهم المجانيق، فتوجه الملك المظفر صاحب حماة وعمه الملك الأفضل وسائر عسكر حماة صحبته إلى حصن الاكراد، وتسلمنا منه منجنيقاً عظيماً يسمى المنصوري حمل مائة عجلة، ففرقت في العسكر الحموي، وكان المسلم إليّ منه عجلة واحدة، لأني كنت إذ ذاك أمير عشرة، وكان مسيرنا بالعجل في أواخر فصل الشتاء، فاتفق وقوع الأمطار والثلوج علينا بين حصن الأكراد ودمشق، فقاسينا من ذلك بسبب جر العجل وضعف البقر وموتها بسبب البرد شدة عظيمة، وسرنا بسبب العجل من حصن الأكراد إلى عكا شهرا، وذلك مسير نحو ثمانية أيام للخيل على العادة،

وكذلك أمر السلطان الملك الأشرف بجر المجانيق الكبار والصغار ما لم يجتمع على غيرها، وكان نزول العساكر الاسلامية عليها في أوائل جمادى الأولى من هذه السنة، واشتد عليها القتال ولم يغلق الفرنج غالب أبوابها بل كانت مفتحة، وهم يقاتلون فيها، وكانت منزلة الحمويين برأس الميمنة على عادتهم، فكنا على جانب البحر والبحر عن يميننا إذا واجهنا عكا، وكان يحضر إلينا مراكب مقببة بالخشب الملبس جلود الجواميس، وكانوا يرموننا بالنشاب والجروخ،وكان القتال من قدامنا من جهة المدينة، ومن جهة يميننا من البحر، وأحضروا بطسة فيها منجنيق يرمي علينا وعلى خيمنا من جهة البحر، فكنا منه في شدة حتى اتفق في بعض الليالي هبوب رياح قوية فارتفع المركب وانحط بسبب الموج وانكسر المنجنيق الذي فيه بحيث أنه انحطم ، ولم ينصب بعد ذلك.

وخرج الفرنج في أثناء مدة الحصار بالليل، وكبسوا العسكر، وهزموا اليزكية، واتصلوا إلى الخيام وتعلقوا بالأطناب؛ ووقع منهم فارس في جوة مستراح بعض الأمراء فقتل هناك، وتكاثرت عليهم العساكر، فولى الفرنج منهزمين إلى البلد،وقتل عسكر حماة عدة منهم، فلما أصبح الصباح علق الملك المظفر صاحب حماة عدة من رؤوس الفرنج في رقاب خيلهم التي كسبها العسكر منهم، وأحضر ذلك إلى السلطان الملك الأشرف ، واشتدت مضايقة العسكر لعكا حتى فتحها الله تعالى لهم في يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة بالسيف، ولما هجمها المسلمون هرب جماعة من أهلها في المراكب، وكان في داخل البلد عدة أبرجة عاصية بمنزلة قلاع، دخلها عالم عظيم من الفرنج وتحصنوا بها، وقتل المسلمون وغنموا من عكا شيئاً يفوت الحصر من كثرته، ثم استنزل السلطان جميع من عصى بالأبرجة ولم يتأخر منهم أحد، فأمر بهم فضربت أعناقهم عن آخرهم حول عكا، ثم أمر بمدينة عكا فهدمت إلى الأرض ودكت دكا.

ومن عجائب الاتفاق أن الفرنج استولوا على عكا وأخذوها من صلاح الدين ظهر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة، واستولوا على من بها من المسلمين، ثم قتلوهم

فقدر الله عز وجل في سابق علمه أنها تفتح في هذه السنة في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة على يد السلطان الملك الأشرف صلاح الدين، فكان فتوحها مثل اليوم الذي ملكها الفرنج فيه، وكذلك لقب السلطانين.

ذكر فتوح عدة حصون ومدن

لما فتحت عكا ألقى الله تعالى الرعب في قلوب الفرنج الذين بساحل الشام، فأخلوا صيدا، وبيروت، وتسلمها الشجاعي في أواخر رجب، وكذلك هرب أهل مدينة صور، فأرسل السلطان وتسلمها، ثم تسلم عثليث في مستهل شعبان، ثم تسلم انطرطوس في خامس شعبان، جميع ذلك في هذه السنة أعني سنة تسعين وستمائة ، واتفق لهذا السلطان من السعادة ما لم يتفق لغيره من فتح هذه البلاد العظيمة الحصينة بغير قتال ولاتعب، وأمر بها فخربت عن آخرها، وتكاملت بهذه الفتوحات جميع البلاد الساحلية للاسلام، وكان أمرا لايطمع فيه ولايرام، وتطهر الشام والسواحل من الفرنج بعد أن كانوا قد أشرفوا على أخذ الديار المصرية، وعلى ملك دمشق وغيرها من الشام، فلله الحمد والمنة على ذلك .....